من ذيول، فى عقل الأوربيين »[١] .

ويعترف بعض المستشرقين بهذا الخلل المنهجي ، فيقول المستشرق مونتجمرى واط:
« أما أوسع الدراسات فهى دراسة كيتانى فى كتابه (حوليات الإسلام) وليس من الصعب تصحيح مبالغاته فى الشك... »[٢]. ولكن يبدو أن هذا الاعتراف من باب المداهنة ، لأنه وقع فى نفس المحظور الذى عابه على كايتانى ـ على ما سوف نرى ـ.

يقول الدكتور جواد على : (كان كايتانى)« ذا رأى وفكرة ، وضع رأيه وكونه فى السيرة قبل الشروع فى تدوينها فإذا شرع بها استعان بكل خبر من الأخبار ظفر به ، ضعيفها وقويها ، وتمسك بها كلها ولاسيما ما يلائم رأيه ولايبالى بالخبر الضعيف بل قوّاه وسنّده وعده حجة وبنى حكمه عليه ، ومن يدرى فلعله كان يعلم بسلاسل الكذب المشهورة والمعروفة عند العلماء ولكنه عفا عنها وغض نظره عن أقوال أولئك العلماء فيها لأنه صاحب فكرة يريد إثباتها بأية طريقة كانت ، وكيف يتمكن من إثباتها وإظهارها وتدوينها إذا ترك تلك الروايات،وعالجها معالجة نقد وجرح وتعديل على أساليب البحث الحديث »[٣]. إن الكثير من كتابات كثير من المستشرقين سارت على هذا النهج ، مدفوعة فى أغلب الأحيان بآراء مسبقة وأفكار متصورة سبق أن اعتقدها المستشرق حول : ماذا يجب أن يكون الإسلام ونبى الإسلام ، فضلاً عن الضلال ، والكذب ، وادعاء العلمية والموضوعية .

يقول الدكتور عبدالرحمن بدوى عن المستشرق اليسوعى (هنرى لامانس) : وأبشع ما فعله خصوصاً فى (كتابه فاطمة وبنات محمد) هو أنه كان يشير فى الهوامش إلى مراجع بصفحاتها . وقد راجعت معظم هذه الإشارات فى الكتب التى أحال عليها ، فوجدت أنه إنما يشير إلى مواضع غير موجودة إطلاقاً فى هذه الكتب. أو يفهم النص فهماً ملتوياً خبيثاً . أو يستخرج إلزامات بتعسف شديد يدل على فساد الذهن وخبث النية ، ولهذا ينبغى ألا يعتمد القارئ على إشارته إلى مراجع ، فإن معظمها تمويه وكذب وتعسف فى فهم النصوص . ولا أعرف باحثاً من بين المستشرقين المحدثين قد بلغ هذه المرتبة من التضليل وفساد النية [٤] .

وهكذا نتبين أن منهج كلاً من كايتانى ولامانس هو اللامنهجية، إذ كيف يستقيم ادعاء التزام المناهج العلمية فى تناول الإسلام مع هذا العبث؟كيف يستقيم

١ ـ محمد أسد : الإسلام على مفترق الطرق ص٦٠ . ٢ ـ واط : محمد فى مكة ص٩ .
٣ ـ د. جواد على : تاريخ العرب فى الإسلام ١١٨ بيروت ١٩٨٣م .
٤ ـ د. عبدالرحمن بدوى : موسوعة المستشرقين ص٣٤٧ ـ ٣٤٩ .